"ظاهرة الفساد من خلال نصوص القرآن الكريم"

أ.د. بلقاسم شتوان
بجامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية

مقدمة :

الحمد لله الذي كرّمنا بالعقل وكمّلنا بالعلم وجمّلنا بالفضيلة وأسعدنا بالهداية والتوفيق، وتفرد بجلال ملكوته ، وتوحد بجمال جبروته ، وتقدس بسمو صمديته ، وتكبر في ذاته عن مضارعة كل نظير ، وتنزه في صفاته عن كل تناه وقصور ، له الصفات المختصة بحقه ، والآيات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه فسبحانه من عزيز. أحمده على ما يولي ويصنع ، ,أشكره على ما يزوي ويدفع ، أتوكل عليه وأقنع ، أرضى بما يعطي ويمنع . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة موقن بتوحيده ، مستجير بحسن تأييده وأشهد أن محمدا عبده المصطفى وأمينه المجتبى ، ورسوله المبعوث رحمة إلى كافة الورى صلي الله وعلى آله مصابيح الدجى، وأصحابه مفاتيح الهدى وسلم تسليما كثيرا وبعد:

أسعد كثير بدعوتي للمشاركة في ملتقى ظاهرة الفساد الذي تنظمه كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بمداخلة وسمتها ب:" **ظاهرة الفساد من خلال نصوص القرآن الكريم** "وضمنتها النقاط الآتية :

1- التعريف بمصطلح الفساد في اللغة والاصطلاح وفي القانون وفي علم الاجتماع.

أ- تعريف الفساد لغة :

1- فسد فسادا وفسودا بضم الفاء : ضد صلح، فهو فاسد .والفساد أخذ المال ظلما .والمفسدة ضد المصلحة[1]

[1]- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ص 306

2- الفساد خروج الشيء عن الاعتدال ، قليلا كان الخروج أو كثيرا ، ويضاده

الصلاح ، ويستعمل ذلك **في النفس ، والبدن ، والأشياء الخارجة عن الاستقامة** [2]

3- الفساد أعم من الظلم لأن الظلم معناه نقص حق الغير كالذي يسرق مال الغير فقد نقص حقه.والظالم أعم من الفاسق [3]

والخلاصة إن مفهوم الفساد لغة ضد الإصلاح ويشمل النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة كأكل أموال الناس بالباطل وهو أعم من الظلم .

ب- تعريف الفساد اصطلاحا: يفرق الحنفية بين مفهوم الفساد في العبادات والمعاملات كالآتي:

أ- الفساد في العبادات:هوكل فاسد باطل.

ب – أما في المعاملات ، فالفساد هو كون التصرف مشروعا بأصله دون وصفه.والبطلان هو كون التصرف غير مشروع بأصله ولا بوصفه.

أما عند غيرهم من الفقهاء فإنهم يرون أن الفساد والبطلان شيء واحد لا فرق بينهما[4]

ج- تعريف الفساد في القانون : سلوك غير سوي ينطوي على قيام الشخص باستغلال مركزه وسلطته في مخالفة القوانين واللوائح والتعليمات لتحقيق منفعة لنفسه أو لذويه من الأقارب والأصدقاء والمعارف، وذلك على حساب المصلحة العامة.ويظهر هذا السلوك المخالف في شكل جرائم ومخالفات: **كالرشوة .والسرقة .وسوء استخدام المال العام ، والتوزيع والإنفاق غير القانوني للمال العام.**

د- تعريف الفساد عند علماء الاجتماع :هو القصور القيمي عند الأفراد الذي يجعلهم غير قادرين على الالتزامات المجردة التي تخدم المصلحة العامة[5]

1

[2] – الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم ، ص 636

[3] – أبو البقاء ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، مؤسسة الرسالة ص 692-693

[4] – د/ محمد رواس قلعه جي ، ود/ حامد صادق قنيبي ، معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس ، ص345

[5]- أ،د/ معن خليل العمر ، جرائم الاحتلال وآثارها في التنمية ، الرياض 2004 م ص 75

هـ – تعريف الفساد في تقرير الندوة الإقليمية للتنمية: يرى HUNTINGTON أن الفساد هو أحد المعايير الدالة على غياب المؤسسة السياسية الفعالة خلال فترة التحديث

الواسعة التي يشهدها عصرنا الحالي ، وبالتالي فلا يمكن اعتبار الفساد بأنه نتاج انحراف السلوك عن الأنماط السلوكية المقبولة فحسب ، بل إنه نتيجة انحراف الأعراف والقيم ذاتها عن أنماط السلوك القائمة[6]

2 – الفساد من خلال نصوص القرآن الكريم :

فالباحث عن كلمة **"فسد"** بمختلف اشتقاقاتها من خلال نصوص القرآن الكريم يطلع على ستة وأربعين آية وردت في كتاب الله تعالى تتحدث عن الفساد حسب معانيه المختلقة التي تصيب الأفراد والجماعات والأرض والدول وذلك كالآتي :

1- فساد منشؤه الشرك بالله : ***

فهذاالنوع من الفساد يعده علماء الإسلام أول فساد في الأرض يتولاه المعرضون عن حقيقة التوحيد وهو فساد عظيم نبهت إليه النصوص القرآنية وحذرت منه وبينت أن أول ما يلازم حقيقة التوحيد هو قاعدة : " **توحيد الربوبية، لتوحد العبودية** " وعليه فلا عبودية إلا لله ، ولا طاعة إلا لله .

وعليه فلا تلقي إلا عن الله ، وبهذا يكون التلقي في التشريع ، والتلقي في القيم والموازين ، والتلقي في الآداب والأخلاق ، والتلقي في كل ما يتعلق بنظام الحياة البشرية. وإلا فهو الشرك أو الكفر. لأن الكون بجملته لا يستقيم أمره ولا يصلح حاله إلا أن يكون له إله واحد يدبر أمره لقوله تعالى : ﴿**لو كان فيهما آله لفسدتا**﴾.[7]

كما أن المتتبع لنصوص القرآن أيضا في هذا الموضوع يعلم أنه ما يقع الفساد في الأرض إلا عندما يقع تتعدد الآلهة في الأرض، حين يتعبد الناس عبدا من العبيد يدّعي أن له على الناس

---

[6] – تقرير الندوة الإقليمية للتنمية 1989مص50

[7] – سورة الأنبياء آية22

حق الطاعة لذاته، وأن له فيهم حق التشريع لذاته ، وأن له كذلك حق إقامة الموازين لذاته .فهذا هو إدعاء الألوهية حتى ولو لم يقل كما قال فرعون : ﴿ **فقال أنا ربكم الأعلى** ﴾[8] والإقرار بهذا هو الشرك بالله أو الكفر به وهو أقبح الفساد في نظر علماء الإسلام [9]

2- فساد منشؤه الاعتراض عن الدعوة إلى الله وإلى عبادته وإفراده بالإلوهية:

يقول تعالى في هذا الموضوع : ﴿**لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين** ﴾[10] وقوله : ﴿**وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين** ﴾[11] وقال تعالى : ﴿ **فلولا كان من القرون من قبلكم ألوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين** ﴾[12] فالآية الكريمة تشير من طرف خفي إلى أنه لو كان في هذه القرون ألو بقية يستبقون لأنفسهم الخير عند الله، فينهون عن الفساد في الأرض ويصدون الظالمين عن ظلمهم ، ما أخذ الله تلك القرى بعذاب الاستئصال الذي حل بالأمم السابقة، لأن الله لا يأخذ القرى بالظلم إذا كان أهلها مصلحين .أي إذا كان للمصلحين من أهلها قدرة يصدون بها الظلم والفساد .إنما كان في هذه القرى قلة من المؤمنين لا نفوذ لهم ولا قوة ،في مواجهة الذين ردوا الدعوة إلى الله ولم يقبلوها. فأخذهم الله بسبب إنكارهم وترفههم واستعلائهم وأتباعهم والخائنين لهم فأهلك الله قراهم وأهلها الظالمين [13]

3- فساد منشؤه انحراف الفطرة :

---

[8] - سورة النازعات آية 24

[9] - سيد قطب ، في ظلال القرآن ط دار الشروق ج 1 ص 405-406

[10] - سورة الأعراف آية 59-60

[11] - سورة الأعراف آية 65-66

[12] - سورة هود آية 116

[13] - سيد قطب ، في ظلال القرآن ط دار الشروق ج 4 ص 1932

يقول الله تعالى : ﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبكم بها من أحد من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾[14] فمن سنة الله تعالى أن خلق البشر ذكرا وأنثى وجعلهما شقين للنفس الواحدة تتكامل بهما .

كما جعل تمام الإمداد في هذا الجنس عن طريق النسل وأن يكون النسل من التقاء الذكر بالأنثى، ومن ثم ركبهما وفق هذه السنة صالحين للاتقاء ، صالحين للنسل عن طريق هذا الالتقاء ، مجهزين عضويا ونفسيا لهذا الالتقاء ، وجعل اللذة التي ينالانها عندئذ عميقة والرغبة الأصيلة في إتيانها أصيلة ، وذلك لضمان أن يتلاقيا فيحققا مشيئة الله في امتداد الحياة ، ثم لتكون هذه الرغبة الأصيلة وتلك اللذة العميقة دافعا في مقابل المتاعب التي يلقيانها بعد ذلك في الذرية .من حمل ووضع ورضاعة ومن نفقة وتربية وكفالة ، ثم لتكون كذلك ضمانا لبقائهما متصلين في أسرة واحدة تكفل الأطفال الناشئين الذين تطول فترة حضانتهم أكثر من أطفال الحيوان ويحتاجون إلى رعاية أطول .

هذه هي سنة الله التي يتصل إدراكها والعمل بمقتضاها بالاعتقاد في الله وحكمته ولطف تدبيره وتقديره.

ومن ثم يكون الانحراف عن سنة الله متصلا بالانحراف عن منهج الله تعالى في تجاوز هذه الفطرة السوية، والإسراف في الطاقة التي وهبهم الله إياها لأداء دورهم في امتداد البشرية ونمو الحياة ، فإذا هم يريقونها ويبعثرونها في غير موضع الإخصاب "**فهي مجرد شهوة شاذة مهدرة**".لأن الله تعالى جعل لذة الفطرة الصادقة في تحقيق سنة الله الطبيعية .فإذا وجدت نفس لذتها في نقيض هذه السنة ، فهو الشذوذ المؤدي للانحراف والفساد الفطري، قبل الفساد الأخلاقي .ولافرق في الحقيقة بينهما، لأن الأخلاق الإسلامية هي الأخلاق الفطرية بلا انحراف ولافساد.

فالدعوة إلى الحرية والديمقراطية التي ترفع شعاراتها بعض جمعيات حقوق الإنسان في الغرب و في بعض الدول العربية والإسلامية بالدعوة إلى هذا الانحراف الجنسي الشاذ غير المبرر سوى

[14] – سورة الأعراف آية 80-81

أنه من الحرية والديمقراطية كما يزعمون .والحقيقة هي دعوى إعلامية يوجهها المفسدون في الأرض لتدمير الحياة الإنسانية،وذلك بإشاعة الانحلال العقدي والأخلاقي [15]

والذي يلاحظ أن هذا الانحراف الفطري الأخلاقي ارتفع معدله بارتفاع الاختلاط بين الجنسين غير المنضبط بالضوابط الشرعية، فقد تعدى هذا الشذوذ بين الرجال إلى الشذوذ بين النساء .[16]

4 . فساد منشؤه الاعتداء على النفس بالقتل:

فالأفعال العدوانية الإجرامية التي تقع على النفس البشرية بالقتل يعتبر في نظر القرآن موت للإنسانية جمعاء وفساد كبير ،لأن حق الحياة واحد ثابت لكل نفس. والاعتداء بقتل نفس واحدة من النفوس التي أمدها الله تعالى هذا الحق هو اعتداء على **حق الحياة ذاته،** لأنه حق تشترك فيه جميع النفوس لقوله تعالى : ﴿ **من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا** ﴾[17]ومنشأ الاعتداء على النفس بالقتل يعود إلى نموذج بشري جبل طبعه على الحسد والأنانية والتعالي على خلق الله، فتأصل في طبعه الحقد والكره و البطش والقتل والفتك بالاعتداء على المسالمين الوادعين الخيرين الطيبين الذين لا يريدون شرا ولا عدوانا. لقوله تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ ابني آدم إذ قربنا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين** ﴾[18]

5 – فساد منشؤه إذلال الناس:

فالقرآن يبين أن الإنسان إذا عاش في ظل الإرهاب الوحشي والخوف ، و العقيدة غير

---

[15] – سيد قطب ، في ظلال القرآن ط دار الشروق ج 3 ص 1316 - 1317

[16] – كنزي الأمريكي ،في تقرير له حول " السلوك الجنسي عند الرجال ، و السلوك الجنسي عند النساء

[17] – سورة المائدة آية 32

[18] – سورة المائدة آية 27...30

الصحيحة تفسد نفسه وطبيعته وتلتوي فطرته وتنحرف تصوراته وتمتلئ نفسه البشرية بالجبن والذل من جانب ، وبالحقد والقسوة من جانب آخر.والنص القرآني يحكي لنا قصة بني إسرائيل مع فرعون قال تعالى : ﴿**وإذ أنحيناكم من آل يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** ..... ﴾[19]

فساد منشؤه التنافس على منصب الحكم أو الرئاسة :

فالخليفة الشرعي للمسلمين أو رئيس الدولة المنتخب من الشعب يجب عليه أن يكون صالحا في نفسه مصلحا في رعيته يحكم شعبه برفق وحق وعدل ونصح، يدفع عنهم كل مكروه ويجلب لهم كل خير ويقيم دينهم و يحرسه ويسوس دنياهم.

فهذا هو دستور الحكم الصالح الراشد ، بحيث يجد عنده المواطن الصالح الكرامة والتيسير والجزاء الحسن.

أما المواطن الظالم يجب أن يلقى عنده التقويم والإيذاء والعذاب.

فحين يجد المحسن في الجماعة جزاء إحسانه جزاء حسنا ومكانا كريما وعونا وتيسيرا . ويجد المعتدي جزاء إفساده عقوبة وإهانة وجفوة .فعندئذ يجد الناس ما يحفزهم إلى الصلاح والإنتاج.أما حين يضطرب ميزان الحكم فإذا المعتدون المفسدون مقربون إلى الحاكم مقدمون في الدولة، وإذا العاملون الصالحون منبوذون أو محاربون ، فعندئذ تتحول سلطة الحاكم سوط عذاب وأداة إفساد .ويصير نظام المجتمع إلى الفوضى والفساد .[20] قال تعالى : ﴿**قلنا يا ذا الفرنين أما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا .قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا .وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا** ﴾ [21] هذه هي صفات الحكم الراشد التي يجب توفرها في الحاكم الصالح كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين** ﴾[22] فسيدنا موسى عليه السلام يعلم

[19] – سورة الأعراف آية 141.-142

[20] – سيد قطب ، في ظلال القرآن ط دار الشروق ج 4 ص 2291

[21] – سورة الكهف آية 86-87-88

[22] – سورة الأعراف آية 142

أن أخاه هارون نبيا وأنه سيقوم بمهمة نيابة خلافتة أو رئاسته في قومه وأنه أهل لها صالح ومصلح بلا شك لأنه معصوم ، وحاشاه أن يتبع سبيل المفسدين ، ولكن المسلم للمسلم ناصح ، والنصيحة حق وواجب للمسلم على المسلم ، ثم إن سيدنا موسى عليه السلام يقدر ثقل منصب الخلافة الدينية والدنيوية في قومه ويقدر كذلك ثقل التبعة ، وهو أيضا يعرف طبيعة قومه بني إسرائيل أنهم أسرع للفتنة والفساد في الأرض.ثم إن سيدنا هارون عليه السلام تلقى النصيحة ولم تثقل على نفسه، لأن النصيحة تثقل على نفوس الأشرار والمتكبرين والمفسدين في الأرض لأنها تقيدهم وتعيقهم عن الهدف الذي يريدون الوصول إليه من أجل تحقيق أهدافهم بأي وسيلة مشروعة أو غير مشروعة لأن الغاية عندهم كما يقال:" **الغاية تبرر الوسيلة**" قال تعالى : ﴿**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون** ﴾[23] هذه هي أسس الحكم الراشد وصفات الحاكم الصالح ، أما الحاكم الظالم المستبد فإنه يتمثل في صورة فرعون الطاغية المتجبر اليقظ الحذر المتكررة نسخه عبر الزمان والمكان في كل عصر ومصر. فرعون الذي علا في الأرض وجعل أهلها شيعا استخف بهم واستضعفهم، وطغى وتكبر على المستضعفين من بني إسرائيل يذبح أبنائهم ويستحي نساءهم وبقبض على أعناقهم ، ويستطيل جبروت حكم سلطانه فتمحض شره وأسفر فساده ، وتوقف الخير عاجزا والصلاح حسيرا. وأطلق كلمة الخداع والخبيث لإثارة الخواطر في مقابل الإيمان[24] بقوله على لسان القرآن : ﴿**إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد** ﴾[25].وقول الله تعالى مخبرا عن فساده في الأرض : ﴿**إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين** ﴾[26] فمبدأ المخادع يتكرر عبركل زمان ومكان وكذلك صور حكم الطغيان والفساد.

6- فساد منشؤه العجب والغرور والغباوة والجهل:

[23] - سورة البقرة آية 11

[24] - سيد قطب ، في ظلال القرآن ط دار الشروق ج 5 ص 2674 -3078

[25] - سورة غافر آية 26

[26] - سورة القصص آية 04

فهذا النوع من الفساد نستشفه من قوله تعالى : ﴿**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون** ﴾[27] **يقول الطاهر بن عاشور** : " الجواب الصادر من المفسدين لا ينشأ إلا عن مرض في القلب وأفن في الرأي لأن شأن الفساد لا يخفى وإن خفي فالتصميم عليه واعتقاد أنه صلاح بعد الإيقاظ إليه والموعظة ، إفراط في الغباوة أو المكابرة وجهل فوق جهل"[28] ثم قال رحمه الله الفساد مراتب :

الأول :إفسادهم لأنفسهم بالإصرار على تلك الأدواء القلبية وهي : " الغباوة ، والجهل ، والسفه ، واللؤم ، والعزلة والجبن ، والتستر والخداع " [29]

الثاني :إفسادهم للناس ببث تلك الصفات الذميمة والدعوة إليها، وإفساد أبنائهم وعيالهم في اقتدائهم بهم في مساوئهم كما قال نوح عليه السلام: ﴿ **إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراكفارا** ﴾[30]

الثالث : إفسادهم بالأفعال التي ينشأ عنها فساد المجتمع كإلقاء النميمة ، والعداوة ، وتسعير الفتن والتأليب على المسلمين، وإحداث العقبات في طريق المصلحين، وإزالة الأشياء النافعة كالحرق لما ينتفع به الناس، والقتل للأبرياء ، وقطع الأرحام. لقوله تعالى : ﴿**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم** ﴾،[31] وإفساد الأنظمة كذلك بالفتن والظلم ، ومناوأة الصالحين المصلحين .

الرابع : إفساد الأرض :

1- الأرض هي المحل الذي يقع فيه الفساد: والمراد بها الكرة الأرضية لأن وقوع الفساد في رقعة منها هو تشويه لمجموعها. فالأرض بما تحتويه من الأشياء القابلة للفساد من الناس والحيوانات والنبات وسائر الأنظمة والنواميس التي وضعها الله تعالى لها كما أخبرنا القرآن

---

[27] - سورة البقرة آية 11

[28] - الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، مؤسسة التاريخ العربي ، ج 1 ص 279

[29] - تكلم عن هذه الأمراض أثناء تفسير لقوله تعالى : ﴿**في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا** ..... ﴾ .ينظر تفسير التحرير التنوير ج1 ص 275-276

[30] - سورة نوح آية 27

[31] - سورة محمد آية 22-23

بقوله : ﴿ **وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد** ﴾ [32] وقد علمت الملائكة مراد الله تعالى من خلق الأرض، الذي هو صلاحها وانتظام أمرها فاستفهمت متعجبة ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** ﴾[33]وذلك من تلقيهم عنه سبحانه وتعالى أو من مقتضى حقيقة الخلافة أو من قرائن أحوال الاعتناء بخلق الأرض وما عليها من نظم تقتضي إرادة بقائها إلى أمد. وقد دلت آيات كثيرة على أن إصلاح العالم مقصد من مقاصد شرع الله سبحانه وتعالى.

2– إن الله سبحانه وتعالى أودع في الإنسان قوة يهيمن بها على موجودات الأرض، إذ جعل فيه القوة الشاهية لبقائه وبقاء نوعه ، وجعل فيه القوة الغاضبة لرد المفرط في طلب النافع له ، وفي ذلك استبقاء بقية الأنواع ، لأن الإنسان يذبّ عنها لما في بقائها من منافع له.ومن العلوم أن القوة الشاهية تندفع إلى الفساد لما يوجد في الفساد من اللذات العاجلة القصيرة الزمن في كثير من النفوس وأكثرها الميل إلى مفاسد كثيرة.ويدافع عن هذه المفاسد بقوته الغاضبة حتى يمنعها من الزوال .وهذا بخلاف النفوس الصالحة التي يدافع أصحابها المفسدين. ولولا ذلك لعم فساد المفسدين الأرض.وبهذا المعنى نفهم معنى الفساد في الأرض " **أي فساد ما عليها** " فيختل نظامها وتذهب أسباب سعادتها وذلك بالتمثيل لها بالحروب الجائرة التي يطلب بها المحارب بغضب منافع غيره .والحروب العادلة التي يطلب فيها المحارب بغضب أيضا إنصاف المحق من المبطل ، وبهذا نفهم سياق الآية التي سيق مساق الامتنان في قوله تعالى : ﴿ **ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**﴾[34]

7– النهي عن الفساد :

فالفساد مبغّض وغير محبّب عند الله لقوله تعالى : ﴿ **إن الله لا يحب الفساد**﴾ وهذا الخطاب من الله فيه تعديل لما تقتضيه الحكمة الإلهية فلأجل ذلك نهى الله سبحانه وتعالى عن إحراق الدور في الحرب وقطع الأشجار إلا إذا رجح في نظر أمير الجيش أن بقاء شيء من ذلك يزيد قوة العدو ويطيل مدة القتال ويخاف منه على جيش المسلمين بأن ينقلب إلى

[32] – سورة البقرة آية 200

[33] – سورة البقرة آية 30

[34] – سورة البقرة آية 251

هزيمة وذلك يرجع إلى قاعدة " **الضرورة تقدر بقدرها** "وبناء على ذلك فإن نهى القرآن على الفساد لتحقيق مقاصد وهي:

1- تحريم الخروج عن الإمام الحق بغير وجه حق ، وقطع الطريق على الناس وإخافتهم وقتلهم بغير حق ، وأكل أموالهم بالباطل .أو ما يسمى في مصطلح الفقهاء " **بالسرقة الكبرى**" لأن هذا الفعل من الفساد في الأرض، لقوله تعالى: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك خزي لهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم** ﴾[35].فالتجمع في شكل عصابة خارجة عن الإمام تخيف وتروع أهل دار الإسلام وتتعدى على أرواحهم وأموالهم وحرماتهم ، فهؤلاء مجرمون سواء أكانوا مسلمين أم ذميين أم مستأمنين بعهد لا يحاربون الحاكم وحده ، ولا يحاربون الناس وحدهم .إنما هم يحاربون الله ورسوله حينما يحاربون شريعته، ويعتدون على الأمة القائمة على هذه الشريعة ، ويهددون دار الإسلام المحكومة بهذه الشريعة ويسعون في الأرض فسادا، وليس هناك فساد أشنع من محاولة تعطيل شريعة الله وترويع خلقه.

2- تحريم أكل أموال الناس بالباطل بالسرقة وبغيرها من طرق احتيال أكل الأموال سواء أكانت خاصة أم عامة مهما كان مالكوها أفرادا أم جماعات فقد قرر الإسلام قواعد لحفظ المال كالآتي:

أ- الإسلام يدفع خطر السرقة عن كل نفس سوية وذلك بالتشديد في عقوبة السرقة والاعتداء على الملكية الفردية والجماعية وعلى أمن الجماعة أيضا لحكمة انتفاء الفساد. ويقرر كذلك حق كل فرد في المجتمع :كحقه في الحياة وحقه في الوسائل الضرورية لحفظ الحياة كالأكل والشرب والملبس والبيت الذي يؤويه.وحقه في الضروريات لحفظ حياته كحقه في العمل مادام قادرا عليه، وإذا عجز عنه جزئيا أو كليا ، وقتيا أو دائما فله الحق في استكمال هذه الضرورة من النفقة التي تفرض له شرعا وقانونا على القادرين من أفراد أسرته ، أو على القادرين من أهل محلته ، أومن بيت مال المسلمين ، وعليه فإن الدافع للسرقة يضمحل. فلماذا يسرق السارق؟ إنه يسرق بدافع سد الحاجة وقد كفلها المجتمع

[35] - سورة المائدة آية 33

والدولة ، فيبقى أنه يسرق للطمع في الإثراء بلا سبب من غير طريق العمل وبذل الجهد. وإذا كان يريد الثراء فإنه لا يطلب بهذه الطريقة التي يسرق بها مال الغير ، ويروع الجماعة ويحرمها الأمان والطمأنينة التي من حقها أن تستمتع بها في نفسها وعرضها ومالها ثم أليس من حق كل فرد في المجتمع الكسب من الحلال ؟ لا من ربا ولا من غش ولا من احتكار ولا من أكل أجور العمال ؟ ويساهم في بناء المجتمع فيما يحتاج إليه من تكافل بين الأفراد والجماعة وذلك بإخراج زكاة أمواله، أو بتقديم ما تحتاج إليه الجماعة من سكن وعلاج وفتح للطرقات وغيره كثير.

فلأجل هذا المقصد الإسلامي المقرر شرعا ، شددت العقوبة في جريمة السرقة التي يعد مفسدة في المجتمع لقوله تعالى : ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيدهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم**﴾[36]

ب : النهي عن الإخلال بالموازين والمكاييل وبخس الناس أشياءهم.لقوله تعالى: ﴿ **فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها** ﴾[37]

فالخطاب القرآني يشير إلى قضية المعاملات بين الناس وذلك ضمن قواعد شرعية جاءهم بها نبي الله شعيب عليه السلام يأمرهم فيها بتوفية الكيل والميزان والنهي عن الفساد في الأرض مع العلم أن قوم شعيب كانوا مشركين لا يرجعون في معاملاتهم إلى شرع الله العادل ، إنما كانوا يتخذون لأنفسهم قوانين من عند أنفسهم للتعامل بحيث كانوا يسيئون المعاملة في بيعهم وشرائهم وأكل أموال بعضهم بعضا بالباطل من خلال التطفيف في الكيل والخسران في الميزان وقطع الطرقات على قوافل التجارة التي تروح وتغدوا بين الشام الحجاز ويفرضون عليها رسوما عالية كما تهواها أنفسهم[38]

والخلاصة إن الإسلام نهى في نصوص قرانه عن جميع أنواع الفساد لتستقيم حياة الناس ويأمنون شرور بعضهم بعضا . وصلى الله على محمد وآله وصحابته وسلم

[36] – سورة المائدة آية 28

[37] – سورة الأعراف آية 85

[38] – سيد قطب ، في ظلال القرآن ط دار الشروق ج 3، 4 ص1317- 2615

أ،د/ بلقاسم شتوان